الإيمان المنقذ

للشيخ صالح رضا - المدرس في الجامعة

وتتلاطم الامواج ، وتعلو حتى تغطي كل شيء في هذه الدنيا ، فمن لم تفرقه اصابته برشاشها ، ومن لم تجرفه مزقت شيئا في ثيابه ، وينظر المسلم الى هذا الفساد الشائع فيحار ماذا يعمل ؟! وينظر الى السبل التي تؤديه الى السلامة ، وتوصله الى بر الامان ·· فتتلاشى جميع هذه السبل امام الواقع المر والحقيقة الماثلة ، ولا يبقى أمامه الا الصراط الذي اختاره الله لهذه البشرية · ألا وهو الايمان ·

نعم ·· الايمان هو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية ، وهداية الانسانية في متاهات هذه الحياة وظلمات هذا الفساد ·· والايمان المقصود هنا الايمان الكامل الذى تظهر اثاره على صاحبه ، الايمان الذى تغلغل في القلب حتى اذاق صاحبه حلاوته ، الايمان الذى كان زرعه الحب وثمرته الايثار والبذل والفداء ، الايمان الذى شع نوره في الروح حتى ابرزت الجوارح كل اعمالها من وحيه ، فصدرت الاعمال وعليها نوره الساطع ، وبريقه المشرق وغدا اللسان يحكى ايمان الفؤاد فيغزو بكلامه الافئدة ، وتصغى اليه القلوب لتكرع من بحره الصافى ، الماء السلسل الشافى ، الايمان الذى تتمثله فئة من الناس ثم تحمله الى الكون كله ، فتدعوهم اليه بقولها وفعلها واخلاقها ·

انه الايمان الذى نحتاج في تيار الدنيا الجارف ، الايمان الذى لنا نعمل لنعلى كلمة الحق ، ولتزوى أمامه دولة الباطل ، الايمان الذى يقض مضاجع الباطل ، ويفرق له الطواغيت ، ويقلق لوجوده الكفر ·· فيحيك الحبائل والشباك لصيد اصحابه ، فتكون تلك الشباك والحبائل مدعاة لاظهار هذا الايمان وسببا لثبات اصحابه ، وتقوية لحامليه ، وامثلة تحتذى من بعدهم ·

والدعوة التى تسير في الطريق المستقيم ، والخط الصحيح هى التى تقدم لنا صورا كثيرة ، وامثلة عديدة يحمل اصحابها هذا الايمان ، وينطلقون للحق دعاة لا يثنيهم عن دعوتهم باطل ، ولا يوقفهم عن سيرهم مشاغب ، ولا يحرفهم عن سبيلهم سياسة ، ولا يردهم عن مقصدهم غرض قريب ، وأمل عاجل ، بل كل هذه الدنيا وما فيها في ناظريهم سراب خادع ، ومتاع قليل ، وظل زائل ·

وللناظر في تاريخ الانسانية ان يقص علينا روائع القصص عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام · · وتلامذتهم تحكى ايمانهم الثابت ، ويقينهم الراسخ ·

Made With Pdf Office

ويمثل التاريخ الاسلامي السجل الحافل لهذه الصور الرائعة التي تنم عن ايمان صادق يقف أمام الطغاة والظالمين وقفة العزة والكبرياء ، وما الفتوح التي رأيناها في الشرق والغرب الا الصورة الكبيرة لهذا الايمان ، فقد وقف المسلمون وهم اقل عددا ، وافقر عتادا أمام الجيوش الجرارة التي تفوقهم في الجند والسلاح ، وغلبوهم بقوة الايمان وثبات يقينهم ٠٠ وعزمهم الاكيد لاحقاق الحق وابطال الباطل ٠ وأما الامثلة الخاصة والقصص الفردية فهي اكثر من ان تحصى وأعظم من ان توصف ، واذكر أمثلة لذلك من حياة الصحابة رضى الله عنهم ٠

فهذا ابو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ آمن في منزله ، مع أهله واولاده يأتيه الخبر بان قريشا تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلا يلبث ان يمضى خارج منزله ليقابل قريشا كلها ، وهو فرد وحيد يقدم غير هياب ولا خائف ، ويقف أمام هذه الجموع المتكاثفة ليقول لهم : « اتقتلون رجلا يقول ربى الله » ولا يكتفى بالكلام ، بل يحاول بكل ما أتاه الله من قوة ليدفع القوم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفعلا يستطيع ان ينقذ النبى صلى الله عليه وسلم من بين ايديهم، ولكن الفداء هو نفسه ، فتتحول قريش الى ابى بكر لتنزل به ما كانت تنزله بمحمد صلى الله عليه وسلم ـ وما تركوه الا وهو على الارض مقطوع احدى ضفيرتيه ٠٠ والدم ينزف من وجهه حتى يغطيه فلا يدرى أنفه من وجهه ٠

هذه صورة من صور الايمان الذى نفقد ، والذى نريد ، انه الايمان الذى دفع صاحبه لان يؤثر التعب على الراحة ، والضرب على الامن ، والموت على الحياة ٠٠ ويحمل ابو بكر الى منزله وهو مغمى عليه لا يدرى ما حوله ، والناس لا يشكون في موته ، ولكن الله عز وجل ـ لم يكتب عليه الموت بعد فيفتح عينيه وتتحرك شفتاه ٠ ٠ ليسمع التاريخ بماذا يتكلم هذا الرجل ! هل يريد ماء ؟ هل يريد راحة ؟ لا ٠ لا هذا ولا ذاك أنه يقول « ماذا فعل بمحمد » انه سؤال الفؤاد المشبع بالايمان ، سؤال العالم بأن رسالة الاسلام لم تتم بعد ، وتمامها موقوف على بقاء هذا النبى ـ فاما هو فرجل من الرجال ، فخوفه اذا كان على الاسلام على الايمان الذى لا يمكن ان يتم اذا استطاع المشركون ان ينالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ

وهذا عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ على صغر قامته ، وضعف جسمه ، وقلة عشيرته في قومه ، يطلب ان يكون الذى يسمع قريشا القران الكريم، والاسلام حينئذضعيف والمسلمون انئذ يسامون من العذاب اشده ، ويمضى وحيدا الى الكعبة عزيزا بعزة الاسلام ، وينطلق لسانه بتلاوة كتاب الله تعالى ، فما يكون نصيبه الا ان يقع مغشيا عليه من الضرب والايذاء ٠٠ فليندم على فعله اذا ، وليصمم على ان لا يعود الى مثل ذلك ٠٠ لان الندم عن الحق ليس من صفات المؤمن بل يدعوه ايمانه الثابت الراسخ ليكون مرة ثانية صوت الاسلام المدوي في الكعبة بكتاب الله وآياته ليغيظ الكفار ٠

صورة شاهدة على تقديم رضا الله سبحانه على كل شىء في الوجود

Made With Pdf Office

قصص تعبر لنا عن سر انتشـــار هذا الاسلام هذا الانتشار الواسع ، الذى مـــا عرف التاريخ اسرع منه قصص من اراد المزيد منها فليستنطق التاريخ عن امثلة الايمان ، وخاصة قصص الفتوحـــات الاولى حيث غنم الجنود الكنوز ، ومـــع ذلك لـــم تمتد ايديهم الى شيء منها ، وتصل بتمامها سالمة الى خليفة المسلمين ..

انه الايمان وراء هـــذا كله .. الايمان بالله وحده المـــرقيب على الانسان الحسيب على اعماله .

فالى الله تعالى ـ نجار بالدعاء لنكون من اولئك الذين طلقوا الدنيا وارادو الاخرة ، وقدمو كـل مـــا يملكون في سبيل الله وحده ، وكانو صورة للايمان الكامل الذى يصـــفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « ثلاث من كن فيه وجـــد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ، وان يحـــب المرء لايحبه الا الله وان يكره ان يعود الفكر كما يكره ان يقذف في النـــار »

مثل رجل بين يدي المنصور ،ورمى بابرة فغرزت في الحائط ، ثـم أخذ يرمي واحدة بعد الأخـــرى ،فكانت كل ابرة تدخل في ثقب سواها ، حتى بلغ عدد الابر خمسين ، فاعجب المنصورية ، وأمر له بمائة دينـــار ، وحكم عليه بمائة جلدة .

فارتاع الرجل ، وسأل عن السبب فقال له المنصور : أما الدنانـــير فلبراعتك ، وأما الجلدات فلاضاعتك الوقت فيما لا ينفع .

Made With Pdf Office